الفضاء الزماني والمكاني في رواية سيدات زحل

الدكتورة الباحثة

سلوى جرجيس النجار اسماء بكر خضر

جامعة كركوك – كلية الآداب

الملخص

يهدف البحث الى الوقوف على عنصري الزمان والمكان في رواية سيدات زحل للروائية لطفية الدليمي من خلال تحديد التقنية المستخدمة ووظيفتها في تسليط الضوء على عنصر الزمن في الرواية لاسيما وان التقنية البارزة في هذا العنصر هو الاسترجاع .

اما عنصر المكان فقد تجلى فيه التنوع المكاني من أجل تجسيد التناقضات القائمة في الواقع الانساني وقد توصلنا الى عدد من النتائج ابرزها :

- وظفت الكاتبة تقنية الاسترجاع من اجل تصوير مراحل عديدة ومهمة من تاريخ العراق .
- تسليط الضوء على معاناة الانسان لاسيما المرأة العراقية في ظل الحرب.
- تنوع المكان في الرواية الى تقاطب ضدي من خلال ثنائية المكان الأليف وغير الأليف.

المقدمة

تعد الرواية من اكثر الفنون التي تستوعب الحياة الانسانية بمختلف نواحيها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولعل اكثر عنصرين من عناصر الرواية ترجمة وتجسيدا للواقع في اي مجتمع هما الزمان والمكان وذلك لان المكان بوصفه حاضنا للشخصيات والاحداث ويتداخل مع الزمن الذي يمثل الخط الذي تسير عليه الاحداث حتى يغدوان ذلك الفضاء الذي يكون شاهدا حيا على تاريخ امة ما بما يظهر فيها من احداث و تتصارع من خلالها الشخصيات.

ولعل سبب اختيارنا لموضوع بحثنا هذا فضاء الزمان و المكان في رواية سيدات زحل جاء من اهمية هذين العنصرين وتلازمهما فضلا عن ان الرواية هي رواية مدينة في ظل حقب تاريخية متسلسلة مشبعة باحداث مهمة و بارزة اثرت على مسار الحياة في بلد العراق ومدينة لها تاريخها المشرق مثل بغداد.

قامت خطة البحث على تمهيد ومبحثين جاء التمهيد بمحورين، المحور الاول تضمن تعريفا بمصطلح الفضاء والمحور الثاني تطرقنا فيه الى سيرة الكاتبة، اما المبحث الاول فتم تخصيصه لعنصر الزمن وتقنياته دراسة و تطبيقا، في حين كان المبحث الثاني عن المكان و اهميته وانواعه ضمن التقاطبات الثنائية الضدية.

وقد خلصنا الى عدد من النتائج ثبتناها في نهاية البحث.

وفي الختام تبقى هذه الدراسة المتواضعة ثمرة جهد مشترك من اجل الوقوف على خصوصية عنصري الزمان و المكان و قد نكون اصبنا او اخطأنا عزاؤنا في هذا أنه عمل انساني فالكمال لله وحده والله ولي التوفيق.

الباحثتان
د.سلوى النجار
اسماء بكر

تمهيد

اولا : الفضاء:

حظي مصطلح الفضاء بعناية الباحثين و اهتمامهم لكونه مفهوما نقديا حديثا لم يحدد بشكل واضح حتى الان اذ أن كثيرا من الباحثين يقصر الفضاء على المكان و هذا الامر لا ينطبق على جوهر هذا المصطلح في العمل الروائي و يعرف الفضاء لغة أنه ((المكان الواسع من الارض وفضا المكان وافضى : اذا اتسع))[١].

اما اصطلاحا فهو ((الحيز المكاني الذي تظهر فيه الشخصيات والاشياء متلبسة بالاحداث تبعا لعوامل عدة تتصل بالرؤية الفلسفية وبنوعية الجنس الادبي وبحساسية الكاتب))[٢].

ومن هذا التعريف نستخلص ارتباط الفضاء بمكونات السرد الا أن صلته بعنصري الزمان والمكان يمكن عدها انها الاكثر عمقا و تداخلا فالزمن ((عنصر حيوي يتكأ عليه القص بصورة عامة فعليه تترتب عناصر التشويق و الاثارة... و دراسة الزمن تأتي مندرجة ضمن الرواية كلها))[٣].

أما المكان فيرى الباحثون ((انه في اي عمل ادبي يأخذ الامتداد اللانهائي ملتحما مع الزمن دون الاستغناء عن قدرة المبدع في تفكيك اجزاء العالم واعادة صياغتها وتركيبها بصورة خلاقة تثري الادراك الوجداني للافكار)) [٤].

ونستطيع ان نعلل هذا التداخل و التلاحم بين هذه المصطلحات الثلاث (الفضاء، الزمن، المكان) من خلال نقطتين: شمولية الفضاء واتساعه من جهة، واهمية المكان والزمان من جهة اخرى فهما ركيزتان اساسيتان في العمل الفني لما يتوفران عليه من معنى انساني كما يعطيان صورة للحدس الانساني الحسي ولكن هناك فرق بين العنصرين يمكن ان نحدده بأن المكان يمتاز بعلاقته التأثيرية مع الاشياء والاشخاص فيما يكون الزمان المحور الجوهري الذي تجري فيه احداث العمل الفني في حين (المكان محدد يفترض دائما توقفا زمني لسيرورة

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، المكتبة الشيعية: ١٣ /١٩٩.

(٢) نقلا عن أ.د. وليد شاكر نعاس.(المكان والزمان في النص الادبي الجماليات والرؤيا) : ٧٠.

(٣) ينظر : المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف، الاستاذ الدكتور صالح ولعة: ٦٥.

(٤) بنية النص السردي، حميد، الحمداني، بيروت، الحمراء، الناشر: المركز الثقافي العربي ط(١)، ١٩٩١: ٦٣.

الحدث) لذا فأن المكان والزمان بوصفهما فضاء زمكانيا لا يمكن الفصل بينهما الا من خلال الدراسة لبيان سماتهما لا سيما وان ترابط المكان والزمان يؤكد عليه باختين من خلال

وفضلا عن ذلك فأن باختين ينطلق من ((نظرته الزمكانية الى الزمكانية بوصفها بنية ذهنية نمطية تاريخية لا تخضع وحسب لمعرفتها التاريخية بل هي ايضا ذاكرة تحفظ الابعاد التاريخية والاجتماعية لحقبة ما)) [١] وبذلك يمكن تحديد هذا المصطلح العائم (الفضاء) و وضعه في قالب نطلق عليه (الفضاء الزمكاني).

ثانيا: سيرة الكاتبة لطفية الدليمي

ولدت الكاتبة لطفية الدليمي في بلدة بهرز التابعة لمحافظة ديالى في جو متنوع ثقافيا مما اسهم في تشكيل هذه الشخصية الزاخرة معرفيا للكاتبة ، كانت اول بواعث انطلاق الكاتبة في عالمها الذي بدت ملامحه منذ كانت في سن التاسعة عندما بدأت بقراءة الكتب الماركسية التي فرضها الاب والكتب الصوفية التي اغوتها ،لينضج نموها الفكري في مراهقتها بعد ان اتجهت الى التراث العربي الاسلامي والكلاسيكي العالمي ثم توجت ثقافتها بالتعمق في قراءة تراث بلاد الرافدين انمازت لطفية الدليمي بين اديبات عصرها بالتنوع الابداعي ما بين كتابة المقالة الصحفية وكتابة القصص والروايات والترجمة الى جانب تقديمها العديد من الدراسات المهمة ومن اهم اعمالها :

المؤلفات :

١. ممر احزان الرجال (قصص) بغداد ، ١٩٧٠
٢. من يرث الفردوس (رواية) الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٨٩ ، طبعة ثانية ، دار المدى ،٢٠١٤ .
٣. في المغلق والمفتوح مقالات جمالية .
٤. مدني واهوائي : جولات في مدن العالم (للكتاب الفائز بجائزة ابن بطوطة للادب الجغرافي عن فئة ادب الرحلات) الموؤسسة العربية للدراسات والنشر بالاشتراك مع دار السويدي ،٢٠١٧.
٥. مملكة الروائيين العظام دار المدى ٢٠١٨.

الاعمال المترجمة عن الانكليزية والتي ترجمتها بنفسها ومن ابرزها :

١- بلاد الثلوج (رواية) ياسوناري مزايانا دار المأمون بغداد ١٩٨٥ طبعة ثانية دار المدى ٢٠١٣ .

(١) بنية النص السردي: ٦٣.

٢- حلم غاية ما السيرة الذاتية للكاتب الفيلسوف كولون ويلسون دار المدى ٢٠١٥ .

٣- تطور الرواية الحديث تأليف جيسي ماتز دار المدى طبعة ثانية ٢٠١٦ .

كما ان للكاتبة رصيد من الاعمال الدرامية التي غلب عليها التأثر بتاريخ العراق وحضارته فمن اهم هذه الاعمال :

١- مسرحية الليالي السومرية نالت جائزة افضل نص يستلهم التراث السومري .

٢- مسرحية شبح كلكامش .

٣- سيناريو صدى حضارة عن الموسيقى في الحضارة الرافدينية .

اما في مجال الدراسات فقد كانت لها بصمتها الواضحة والتي يتضح من خلالها جليا عنايتها بالمرأة و صورتها ، حريتها ، وغيرها من الامور الجدلية ومن بين هذه الدراسات :

١- جدل الانوثة في الاسطورة نفي الانثى من الذاكرة .

٢- صورة المرأة العربية في الاعلام المعاصر .

٣-دراسات في واقع المرأة العراقية خلال العقود السابقة وبعد الاحتلال .

المبحث الاول

الزمـــن

يعد الزمن من عناصر البناء السردي وأكثرها تعقيداً ،وعده بعض الباحثين متقدماً على المكان من حيث الأهمية، اذ ((يرى جيرار جينيت أنه من الممكن أن نقص الحكاية من دون تعيين مكان الحدث ولو كان بعيداً عن المكان الذي تروى فيه بينما قد يستحيل علينا ألا نحدد زمنها بالنسبة الى زمن فعل السرد، لأن علينا روايتها إما بزمن الحاضر إما الماضي إما المستقبل وربما بسبب ذلك كان زمن السرد أهم من مكانه)) (١).

ويعرف الزمن، والزمان لغة (اسم لقليل الوقت وكثيره، والجمع)(ازمن، ازمان، ازمنة)(٢).

اما الزمن اصطلاحا (هو اطار يشتمل تحولات الوجود ، والزمان ولا يجلب التغيير، وانما التغيير هو الذي يجلب الزمان فالزمان موجود لان هناك نشاطا ما وفعلا خالقا وعبورا مستمرا من العدم الى الوجود) (٣).

فالزمن في الاصلاح السردي :((مجموعة العلاقات الزمنية – السرعة ،التتابع والبعد ...الخ، بين الموافق والمواقع المحكية وعملية الحكي الخاصة بهما ، وبين الزمان و الخطاب المسرود والعملية السردية)) (٤).

ويمكن ان نعرف ((الزمن القصصي بأنه المدة الزمنية التي يجري قياسها عن طريق المقارنة بين الزمن الذي يمكن ان تستغرقه الاحداث في الواقع بالوقت الذي تتطلبه قراءة هذه الاحداث)) (٥).

---

(١) معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف، زيتوني، دار النهار، للنشر، لبنان، ٢٠٠٢: ١٠٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ٦٠

(٣) هاجس الزمن في شعر امل دنقل، اعداد: فيان محمد فاتح الطالبني، باشراف: أ.م.د. عبدالرحمن محمد محمود، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية التربية للعلوم الانسانية في جامعة كركوك، ٢٠١٦م: ٩.

(٤) المصطلح السردي، جيرالد، برنس، ترجمة عابد خازن دار، مراجعة وتقديم محمد بربري، الجزيرة القاهرة، مجلس الاعلى للثقافة،(ط١)،٢٠٠٣ :٢٣١.

(٥) الفن الروائي، ديفيد لودج، ترجمة ماهر البطوطي، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، (ط١) ٢٠٠٢ :٢١٠.

وان هذه المقارنة تقودنا الى الوقوف عل حركتين مهمتين في السرد الروائي:

الحركة الاولى ((فتكون ازاء سرد استذكاري ،يشكل مقاطع استرجاعية تحيلنا على احداث تخرج عن حاضر النص لترتبط بفترة سابقة على بداية السرد، وتارة اخرى تكون ازاء سرد استشرافي يعرض لاحداث لم يطلها التحقق بعد، اي مجرد تطلعات سابقة لأوانها)) (١).

أما الحركة الثانية ((فهي حركة تتصل بتسريع احداث السرد أو بتبطيئها والاولى تختزل زمن الرواية ، وذلك بواسطة استخدام تقنية تلخيص السرد، أو تقنية حذف شيء منه ، والثانية تعطل الزمن الروائي على حساب توسيع زمن السرد، وذلك بواسطة استخدام تقنية السرد للمشهد او تقنية الوقف)) (٢).

يجد الباحثون احياناً اشكالية في تحديد زمن السرد . الذي قسمه عبد المنعم القاضي في (البنية السردية في الرواية)

الى ثلاثة اقسام :

الاول – زمن الحكاية الزمن الذي سبق زمن الكتابة.

الثاني – زمن الحاضر وهو زمن السرد .

الثالث – وهو الزمن الذي يقضيه القارئ في قراءة الرواية .

وتعتمد الكاتبة في (سيدات زحل) على الاسترجاع في اغلب السرد.

والاسترجاع ((مخالفة لسير السرد تقوم على عودة الراوي الى حدث سابق .... أما وظيفته فهي غالباً تفسيرية)) (٣).

ويقسم الاسترجاع الى :

اولا : استرجاع خارجي ((وهو الذي يمثل استعادة احداث قبل بدء الحكاية ، اي هو تمهيد لبدئها)) (٤).

---

(١) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، البيضاء المغرب، (ط١)، ١٩٩٠:١١٩-١٩٩

(٢) الرواية الاردنية، اعداد: مهند علي سليمان الشوابكة، المشرف الدكتور امتنان الصامدي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الاردنية كلية الدراسات العليا،٢٠١٠ :١٢٤-١٢٥.

(٣) معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف، زيتوني، دار النهار، للنشر، لبنان، ٢٠٠٢ :١٨.

(٤) البنية السردية في الرواية، عبدالمنعم زكريا القاضي، تقديم: احمد ابراهيم الهواري الناشر: ع للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية .

وفي (سيدات زحل) نجد هذا النوع من الاسترجاع في حديث حياة عن أهلها ، حيث قدمت صورة تمهيدية للدخول في الحكاية . حيث ورد على لسان حياة :(أذكر هذا الحديث الذي دار بيني وبين ابي سنة ١٩٨٧ ،قبل ان يموت شقيقاي مهند وماجد ويختفي هاني في عزلته ،قتل مهند في منطقة دربندخان أعدم ماجد قبل ليلة غزو الكويت ... غاب كما تغيب النجوم وتختفي في هالة الشمس ...) [١].

ثانيا: استرجاع داخلي (يعود الى ماض لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص) أو((هو الذي يستعيد أحداثا وقعت ضمن زمن الحكاية اي بعد بدايتها ،وهو الصيغة المضادة للاسترجاع الخارجي)) [٢].

ومن خلال الاسترجاع الداخلي استعادت الكاتبة احداثاً وقعت ،ضمن زمن الحكاية اي بعد بدايتها، وتجسدت هذه الصورة بلقاء السيدات في مفوضية اللاجئين فهذا اللقاء كان بعد احتلال بغداد وهروب السيدات الى الخارج ،واستقرارهن بشكل مؤقت في عمان. تقول حياة : ((اجتمعنا بترتيب من بعضنا وبمصادفة من اقدارنا عند المفوضية العليا للاجئين في عمان بعد أن هربنا كلٌ بكارثة على مقاسها من بغداد ...)) [٣].

والاسترجاع الداخلي نوعان :١- الاسترجاع الداخلي غير المنتمي الى الحكاية يسميه البعض وهو الذي لايمكن عده جزء من موضوع الحكاية قد يتمثل بشخصية جديدة نتعرف عليها من خلال الراوي مثلاً بأسترجاعه احداثاً من ماضيها وقعت بعد بداية الرواية ولكن لا علاقة لها بالحكاية الرئيسية .

٢- الاسترجاع الداخلي المنتمي الى الحكاية :

((هو الذي يجانس موضوعه موضوع الحكاية ... وهو نوعان تكميلي ومكرر..)) [٤] فمن الاسترجاع الداخلي التكميلي – هو الذي يسد نقصاً حاصلاً في السرد – وفيه استكملت الساردة ما فاتها من ذكر الحرب، محددة الفترة الزمنية لبداية الحكاية ،حيث جاء على لسان الساردة حياة :((تلك الليلة ربما كانت الثالثة والعشرين من نيسان ٢٠٠٣ وكنت وحدي في البيت .... تلك الليلة أحرقو المكتبة ... هرعت نحو الحريق ...وقبل ان ابلغ المبنى المحترق

(١) الرواية:٤٢

(٢) بناء الرواية، سيزا احمد القاسم مكتبة الاسرة، القاهرة،٢٠٠٤ :٥٨.

(٣) الرواية: ٢٤٣.

(٤) البنية السردية في الرواية، عبدالمنعم زكريا القاضي، تقديم: احمد ابراهيم الهواري الناشر: ع للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية:١١٤.

، تلقيت رصاصة في ذراعي أطلقها واحد من فصيل الحرائق .. أم تراه من تلك الجماعة التي ارسلت لي خطاب التهديد ...)) [١].

اما الاستجاع الداخلي المكرر او التذكير :

((هو اشارات القصة الى ماضيها ...وهذا التذكير قد يتخذ شكل المقارنة بين الماضي والحاضر او بين موقعين متشابهين ومختلفين في آن واحد)) [٢].

ولعلنا نجد هذا النوع من الاسترجاع الداخلي في قصة "زبيدة التميمية" حيث اجرت الكاتبة مقارنة بين حياة وزبيدة فكلتا الفتاتين عاشتا قصة حب مأساوية ، وعانت البطلتان من طالع زحل وما حمله لهما من فقد للأهل وتهجير وحرب مدمرة. جاء على لسان حياة ((في دوار الحب وضجيج الحرب وتشوش الاشياء يتحكم بي التباس عنيد اخر يطاردني في الصحو والمنامات : انا حفيدة زبيدة التميمية التي حلت ذاكرتها في رأسي وفاضت إلي ام تراني انا زبيدة ذاتها التي عشت واقعة عشقها الخاطف مع ناجي الراشدي ... كنت زبيدة التميمي وكان هو ناجي ابن علي الراشدي ...كنت زبيدة العاشقة المعشوقة...))[٣].

يمكن القول أن (سيدات زحل) رواية معاصرة تعرض احداثاً وقعت في فترة زمنية ليست ببعيدة عن زمن القراءة لكن الكاتبة ضمنتها حقباً زمنية مختلفة ، حيث عرضت الكاتبة ضمن ازمنة مختلفة منها:

-**زمن بناء بغداد** – حيث جاء في الرواية –(الفا رجل تحلقوا حول دائرة الرماد التي أسمها بغداد ... تشتعل الالف من كرات القطن المنفوطة على الخطوط المرسومة لاساس المدينة وتقوم مدينة (دار السلام) من الغيب باللهب على ضفة ما رأى (ابو جعفر المنصور).هذه هي قصة بناء بغداد في عهد الخليفة العباسي (ابو جعفر المنصور) [٤].

– **زمن سقوط الدولة العباسية** –كما جاء في الرواية –(وفي يوم وليلة بنى المغول بالجانب الشرقي سوراً عالياً ...وشرع عسكر الخليفة في الدفاع والمقاومة الى اليوم التاسع عشر من محرم،... دام نهب بغداد سبعة ايام لما هاجم الغوغاء على المساجد والقصور والاسواق ودار سك البنوك...ثم رفع السيف وابطل السبي ،وفي رابع عشر صفر رحل هولاكو من بغداد وصحب اسراه وفي اول مرحلة من سفره قتل الخليفة المستعصم وابنه ...) [٥] وفي

---

(١) الرواية: ٥٥.

(٢) معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف، زيتوني، دار النهار، للنشر، لبنان، ٢٠٠٢ :١٨.

(٣) الرواية:٢٠.

(٤) المصدر نفسه:٢٢٤.

(٥) المصدر نفسه:١٩٣-١٩٤.

هذا النص وصف لمرحلة قاسية مرت على الانسان العربي على نحو عام وعلى العراقي على نحو خاص.

- **زمن سقوط الدولة العثمانية –** كما ورد في الرواية وصفاً يمكن عده تقدُمه لسقوط دولة بني عثمان ،حيث جاء في الرواية ((الطاعون الاسود يطير كالبومة فوق بغداد ومن تحته يمتد الخراب ... كان الف رجل يموت يومياً ... خلال ثلاثة ايام هطلت امطار غزيرة ...ارتفعت مياه دجلة واجتاحت معظم انحاء بغداد فسَخر الوالي الجيش والمماليك ومن نجا من الطاعون اقامة سدود ...خف الطوفان ... وتفشت رائحة الجثث المتفسخة في الرياح.... وغدت المدينة مكشوفة واستبيحت مرة اخرى وداهمه السلابون من الصحراء والبوادي القريبة ...)) [١] وهنا وصف لانتشار الوباء والموت السريع الى جانب الوباء تصف الكاتبة السراق الذين دخلوا المدينة من خارجها وهنا ارادت ان تقارن بين وضع بغداد آنذاك ووضع بغداد في ظل الاحتلال الامريكي وكأن المشهد التاريخي لابد ان يتكرر.

- **زمن الستينات –** سلطت الكاتبة الضوء على هذه المرحلة من تاريخ العراق وكشفت لنا الكثير من جوانبها من خلال كراسة بهيجة التميمي ، والتي قرأت فيها حياة ما كبته والدتها – كما جاء في الرواية تقول حياة:((كتبت في دفترها سرداً لوقائع حدثت لها وهي طالبة في سنتها الاخيرة بكلية الآداب، اقرأ ويخيل لي انني هي بهيجة التميمي وان ما وقع لها هو ما كابدته في سنواتي الماضيات، تماهيت معها وانا اشم رائحة الدم تلوث حواسي وتعذبني ...)) [٢].

اما خصوصية هذا الزمن فإنها تأتي من اختزال الكاتبة في نصها لأحداث النكبة في الستينات والثورات التي قامت آنذاك

- **زمن التسعينات –** جاء في الحكاية نبذة عن حالة المجتمع في هذا العقد، تمثلت في (قصة مهند وماجد و زواج حياة) فزواج حياة في مطلع التسعينات من حازم لم يكن موفقاً وكانت تعيش حالة من الصراع مع ذاتها فهي ترفض كل الحب الذي يكنه لها زوجها ، وتفكر في الطلاق لكن ظروف مجتمعها تمنعها ، وتصف حياة مجتمعها وتقول ((أن طلبت الانفصال فكيف سأعيش مطلقة في مجتمع فككته الحروب ، وانهكته المجاعة ؟ وتكاثر فيه كالفطر رجال بدشاديش قصيرة ولحى شعثاء وجنود من بقايا جيش غزو الكويت كانوا يتسولون لقمتهم

(١) الرواية: ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) المصدر نفسه:٢١١-٢١٢.

على مفارق الطرق بثياب ممزقة ويشحذون على ابوابنا دراهم تيسر لهم السفر الى قراهم ...))[1] بينما يأتي هذا النص ليجسد تأثير الحرب على المجتمع والحياة الاسرية .

– **زمن الاحتلال الامريكي** – وهو زمن الرواية الذي وقعت فيه الاحداث والتي جاءت بصورة الاعتقال أو الهروب أو الاختطاف او الاغتيال وهذه كلها فروع عن الحدث الرئيسي في الرواية الا وهو الحرب ، وهذه الصورة التي حاولت الكاتبة إيصالها عن الحرب وتبعاتها في كل العصور . ومما لا شك فيه أن رغبتها هذه هي التي استدعتها لأختيار هذه العصور الفاصلة من تاريخ العراق. مبينة قدرة العراقيين على اجتياز المحن على الرغم من امكانية تعاقب المآسي والحروب اهتمام الكاتبة هنا بذكر الحقب المهمة من تاريخ العراق نابع من حس الانتماء للوطن فضلاً عن غايتها في جعل نصها هذا شاهداً على ذلك .وهذا كان دأب كثير من الروائيين العراقيين المبدعين امثال فؤاد التكرلي وسعد رحيم .

(١) الرواية :١٤٨.

المبحث الثاني

المكـــان

يحتل المكان دوراً مهماً في البناء السردي ، فهو الارضية التي تجري عليها الاحداث وتجذب الشخصيات ، ولا ينفصل عن الزمن . وتبرز اهمية المكان ((من خلال ما يوفره من سياحة للقارئ في عالم متخيل))[١] ويعرف المكان لغة ((المكان الموضع ومنه امكنة و اماكن)) [٢].

اما اصطلاحا فيمكن ان نعرف المكان بانه ((شخصية متماسكة ومسافة مقاسه بالكلمات ورواية لامور غائرة في الذات الاجتماعية لذا لا يصبح غطاءً خارجيا او شيئا ثانويا بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني)) [٣].

اهمية المكان :

يمكن ان نفسر اهمية المكان انه قسيم الزمن وهو الحيز الذي تشغله الشخصية من الوجود فمن خلاله يتمكن المبدع من ابراز العمق الاجتماعي للمكان بحسب رؤيته و فلسفته ومن خلال السرد اعطت الكاتبة عن بغداد صورة حية كما ورد في الرواية ((بغداد تتنفس هواء مسموم والناس تشرب من ماء الجحيم وتهرس تحت العقب الساحقة لجيش الغزاة ...))[٤] فهذه الصورة انما جاءت لتعبر عن الظروف القاسية و الظلم القائم في بغداد من قبل المحتلين و قد جسدت هذا المعنى من خلال تشبيه المدينة بإنسان يتنفس لكنه يتنفس هواءً مسموما . لعل جمال المكان يكمن في التنوع وتعدد الابعاد لذا فأن الكاتبة نجحت في ابراز المكان مكانا متنوعا قائما على التقاطبات الضدية الثنائية مثل المكان الأليف والمعادي والمكان المفتوح والمكان المغلق. و((ان المكان بأعتباره خطاً افقياً او قضباناً حديدية يتحرك عليها الزمن فيغير بظلاله من صورتها ، يستطيع أن يؤدي دور البطولة في العمل الروائي، خاصة عندما يكون للمكان تلك الجمالية الخاصة التي تمنحه القوة المؤثرة في النص السردي وفي القارئ على حد سواء))[٥] جرت احداث رواية (سيدات زحل) في بغداد التي تمتاز ببعد

---

(١) ينظر : البنية السردية في الرواية، عبد المنعم زكريا القاضي: ١٣٨.

(٢) لسان العرب، ابن منظور:١١٣.

(٣) الرواية والمكان، ياسين نصير، دار الحرية، بغداد، العراق، ط١، ١٩٨٠ :١٧.

(٤) الرواية:٢٦.

(٥) ينظر : البنية السردية في الرواية، عبد المنعم زكريا القاضي.

هندسي عكس واقعها الاجتماعي فهي مغلقة من الخارج مفتوحة من الداخل الذي يمكن من خلاله النفاذ الى عمقها التاريخي وسنتناول في بحثنا ابرز الاماكن التي عكست صورة واقعية مؤثرة. تقاسم المكان البطولة مع الشخصيات فهي حكاية ناس ومدينة ويمكن ان نقسم الاماكن في روايتنا وفقاً لغاية البحث الى نوعين : المكان الاليف و المكان المعادي (غير الاليف).

اولا: المكان الأليف : ((هو مكان المعيشة المقترنة بالدفئ والشعور بأن ثمة حماية لهذا المكان من الخارج المعادي وتهديداته ويمنح هذا المكان الفسحة للحلم والتذكر، وهذا المكان يترك اثراً في ساكنيه كأن يكون مكان الطفولة الاولى ومكان الصبا والشباب ، ومكان الذكريات واحلام اليقظة)) [1].

وفي (سيدات زحل) تمثل المكان الأليف ب (بيت حياة البابلي، ضريح الامام والسرداب)

بيت حياة البابلي : عكس صورة واقعية عن كل بيوت المدينة، فهو يمثل الامان والراحة ومستودع الذكريات الجميلة الا انه في مدينة مثل بغداد تعاني الحرب رمز للوحدة فهنَّ نساء وحيدات بلا رجال لأنهم غابوا عن حياتهنَّ بالسجن والقتل والتعذيب . فهنا نجد البعد الواقعي الذي عكس الواقع الاجتماعي والسياسي .اذ نجد حياة تصف حياتها في بيت البابلي : (امي ترعى احلامنا ... تدغدغ اكفنا الناعمة وتقص اظفارنا ... كنا اطفالا نحيلين بلا سقم ... تعد لنا الدعم من حنانها وطعامها ... الله كم تمر السنوات ؟؟...)

"**ضريح الامام**" يشكل ضريح الامام الكاظم معلماً دينياً ،وظفته الكاتبة ، لتوضيح البعد الديني للمدينة التي اختلطت اعراقها ومذاهبها . وذلك من خلال "الزيارة" التي قامت بها حياة وهالة اثر الأزمة النفسية التي تعرضت لها هالة عقب وفاة خطيبها.

"**السرداب**" لعب دوراً في انطلاق الاحداث ، والسرداب مكان ضيق يمكن ان يكون التواجد فيه لسبب قاهر وهذا الذي استدعى حياة للنزول اليه اول مرة –الهروب من قصف الامريكان– ايام حرب ٢٠٠٣ م . وللوهلة الاولى رأت مكان غبراً معتماً تطل نافذة منه على الشارع يمكن من خلاله كشف مخبأ حياة . الا انها ببعض المساعدة من حامد الاخرس، استطاعت ان توصل الكهرباء ، نظفته وصار "مكانها المفضل" لانها وجدت فيه نفسها بين ارواح اهلها فتحول المكان الموحش الى اليف فصور الاهل على الجدران وعود العم بوتره

(١) أ.م.د نبهان حسون (المكان في قصص حكمت صالح) دراسات موصلية، العدد(٤٣)، ربيع الاول ١٤٣٥/كانون الثاني –نيسان ٢٠١٤م.

المقطوع ، وكتبه الممنوعة وساعات الوالد الذي كان مولعاً بجمعها ، كلها هذا كوَن عالماً اخر لحياة تجد فيه اُنسها ، واجابات لأسئلتها . كما جاء في الرواية ((كل اشياءهم وروائحهم واصداء اصواتهم هناك، لا تخافي هي اصوات اهلك، حتى صوتي ستجدينه هناك بعد رحيلي ستؤنسك اصواتنا يا حياة الصمت مخيف في وحشة السراديب ...)) [١] لذا احالت الروائية السرداب من مكان اقامة اجبارية الى مكان اليف من خلال ما اضفته عليه من سمات المكان الاليف كاشفة عن تلك العلاقة التأثيرية بين الانسان و الاشياء و المكان .

ثانيا: المكان المعادي (غير الاليف) : ((هي الاماكن التي تولد لدى الانسان شعور بالخوف والنفور لاحتواءها على العدائية والكراهية وهذه الاماكن اما ان يقيم الانسان مرغما كالسجون والمعتقلات والمنافي او خطر الموت يمكن فيها لسبب او لاخر)) [٢].

المكان غير الأليف (المعادي) : شكلت هذه الاماكن رمزاً للمكان المعادي وهذا يتضح من خلال السرد . (المؤسسة الاعلامية ، السجون) .

المؤسسة الاعلامية ؛هي مكان عمل حياة يديرها مسؤول فاسد يحاول ابتزازها ، وهي تكره التعامل معه، وبقاءها في هذا المكان لانه مصدر كسبها الوحيد ، وهذا عكس البعد النفسي للمكان . كما جاء في الرواية على لسان حياة :((لو تخليت عن عملي في المؤسسة الصحية اموت جوعاً ..... لابد من دفع ثمن لحياتي وحياة الاخرين الجميع هنا يفعل الامر ذاته؟ ولكن لمن ابرر .....لابد من اقنعة في بلاد الموت، شعب كامل يقيم في هوية القناع رئيس المؤسسة المتشبه بالحكام والاباطرة ، مراوغ .....)) [٣].

هنا المؤسسة تمثل المكان المعادي و هي رمز للسلطة في البلاد التي لا تعبأ بحياة الفرد بل تؤدي به الى الموت دون رحمة او شفقة.

(السجون) من خلال السرد نجد ان اكثر من شخصية تعرضت للسجن في حقب زمنية مختلفة وعلى ايدي جهات مختلفة إلا ان "السجن" احتفظ ببشاعته واحتفظ السجّان بوحشيته . سواء في قصة بهيجة التميمي في الستينات او حامد وحازم في التسعينات او سجن هالة في ٢٠٠٣م على يد الامريكان . عكس هذا المكان البعد السياسي والنفسي.

---

(١) الرواية:٤٥.

(٢) المكان والزمان في النص الادبي، الجماليات والرؤية، استاذ الدكتور وليد شاكر نعاس، ص:١٥٩.

(٣) الرواية: ١٦٢-١٦٣.

(سجن بهيجة في الستينات)

((كما جاء في الرواية كتبت بهيجة (كلما شممت رائحة الدم ، استعيد يوم قبضوا عليه متلبسة بتوزيع منشورات .....كانوا ثلاثة رجال ، وجهوا لكمات اصابت وجهي بجراح وادمت عيني ونزف انفي وتخضب قميصي الابيض بالدم .... وانا قابعة في عتمات الجنون ..... كانوا يديرون حفلات التعذيب في زنازين صممت بشكل توابيت .....)) [١].

(هالة في سجن ابي غريب)

كما جاء في الرواية على لسان هالة ((..لن انتحر ولن ادعهم يذبحوني ....لن يقتلوني كما قتل الامريكي جو شوا روحي ..... وقد مر شهران على اعتقالي ، كنت انام مدثرة بشال صوفي، حين ايقظتني يد وهي تربت على كتفي، فزعت وصرخت .... الذين يعذبون السجناء لا نراهم ، نرى القفازات البيضاء والكلاب البوليسية المزمجرة ، يضعون اقنعة فلا نرى سوى الانياب والايادي بالقفازات ...يرتدون القفازات قبل ان يلمسوا السجين ، القفازات تقول : ما انت الا حيوان ، حيوان دنس .....)) [٢].

ويبدو ان الكاتبة من خلال ارتباط حياة بالسرداب ارادت ان تبين اهمية البلد الام للإنسان فحياة التي سافرت الى مدن كثيرة (طنجة ، نيقوسيا ، عمّان وغيرها ...) عادت الى بغداد واتخذت من السرداب سكناً لروحها .هذا الوصف للسجن والقائمين على امره كما جاء في الرواية انما يكشف بشاعة المكان والفعل الذي يحدث فيه حتى اضحى السجن مكانا معاديا للإنسان. يتميز المكان بالتنوع لاسيما على وفق التقاطبات الثنائية مثل المكان الاليف و المعادي كما جاء اعلاه و المكان المفتوح و المغلق و الواقعي و المتخيل و لارتباط المكان ببقية عناصر البناء السردي فإن علاقة تفاعلية تحدث بين المكان و الشخصية فكل واحد منهما يؤثر بالأخر واحيانا يمثل المكان البؤرة التي تنطلق منها الرواية .

والمكان المفتوح والمغلق في الرواية ظهر واضحا من خلال المدينة(بغداد) بوصفها مكانا مغلقا له حدوده ومعالمه الى جانب المكان المفتوح الذي قد يتشكل من خلال الشارع والحديقة ونوافذ البيت وغيرها وهنا لابد من الاشارة الى ان صفات المكان من حيث التنوع المكاني قد تتداخل اذ نجد البيت الذي هو المكان الاليف هو نفسه المكان المغلق واجزاء البيت مثل باحة البيت او الحديقة او الغرفة التي تكون مفتوحة النوافذ والباب وفانه يتحول الى مكان مفتوح من

(١) الرواية:٢١٢ .

(٢) المصدر نفسه:٢٦٧.

خلال اضفاء تلك الصفات عليها ، فضلا على ان المكان المغلق قد يتسم بصفة المكان المعادي (غير الاليف)حين يكون الخروج منه صعبا لا سيما في السجن او قاعة المحكمة او غرفة التحقيق بل واحيانا نجد البيت الذي يتسم بصفة الالفة في اغلب الاوقات قد يتغير فيتصف بالضيق والالم حين يكون مصدرا للقلق والارهاق والتعاسة فالمكان والشخصية كلاهما يؤثران في بعضهما بشكل كبير وهذا التأثير حين يظهر فانه بالتأكيد سيعكس جمالية تشكيل المكان في الرواية.

الخاتمة

لقد خرجنا من خلال دراستنا هذه عن الفضاء الزماني والمكاني في (رواية سيدات زحل) بنتائج عديدة أهمها :

١. أن الكاتبة نجحت في توظيف تقنية الزمن لعرض تاريخ العراق عبر عصور مختلفة لا سيما ان الزمن في الرواية جسد مراحل مهمة من تاريخ العراق.
٢. أعطت الكاتبة صورة عن الحرب ومعاناة الناس من تبعاتها في أزمنة متعددة . وهذا يفسر اختيار الكاتبة لازمنة فاصلة وهامة من تاريخ هذا البلد وهي بذلك ارادت الكاتبة ان تسجل بصورة متتابعة لمراحل اثرت في تاريخ البلاد .
٣. اعتمدت الساردة تقنية الاسترجاع الزمني للأحداث بنوعيه الخارجي والداخلي . ولعل تقنية الاسترجاع تكشف عن حنين الشخصية الى ذكرياتها فضلا عن توظيف هذه التقنية من اجل تسليط الضوء على اهم المراحل التاريخية قتامة و صعوبة و تأثيرا على حياة الفرد العراقي.
٤. يمثل المكان العنصر الابرز بين عناصر البناء السردي التي اعتمدتها الكاتبة في بناء نصها فكان المحيط الواسع الذي استوعب الشخصيات والاحداث و متغيرات الزمن .
٥. اعتمدت الكاتبة تقنية التقاطبات الضدية الثنائية فظهر المكان عندها ما بين مكان أليف و غير اليف ، و مغلق و مفتوح.
٦. حاولت الكاتبة تصوير بغداد صورة استشرافية و لعل في هذا تأكيدا منها على استمرار الحياة في المدينة و املها في حياة افضل لبلدها و شعبها.

ثبت المصادر

اولا: المصادر

- الرواية ، سيدات زحل، لطفية الدليمي،٢٠١٥(٣)

ثانيا : المراجع :

الكتب:

- بناء الرواية ، سيزا، احمد، القاسم، مكتبة الاسرة ،القاهرة ، ٢٠٠٤.
- البنية السردية في الرواية ، عبد المنعم ، زكريا، القاضي، تقديم: احمد ابراهيم الهواري، الناشر: عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.
- بنية الشكل الروائي، حسن، بحراوي، المركز الثقافي العربي، البيضاء، المغرب، ط(١) ١٩٩٠
- بنية النص السردي، حميد ، لحمداني، بيروت ،الحمراء ، الناشر: المركز الثقافي العربي، ط(١)، ١٩٩١.
- الرواية والمكان ، ياسين ،نصير ،دار الحرية ، بغداد ، العراق، ط١ ،١٩٨٠.
- الفن الروائي، ديفيد، لودج، ترجمة: ماهر البطوطي، المجلس الاعلى للثقافة ،القاهرة، ط(١)،٢٠٠٢ .
- لسان العرب ابن منظور، المكتبة الشيعية،ج١٣، ص١٩٩.
- المصطلح السردي، جيرالد، برنس، ترجمة: عابد خازن دار، مراجعة وتقديم :محمد بريري الجزيرة، القاهرة ، مجلس الاعلى للثقافة، (١ط)، ٢٠٠٣.
- معجم مصطلحات نقد الرواية ،لطيف، زيتوني، دار النهار للنشر، لبنان، ط(١)، ٢٠٠٢.
- المكان ودلالته في رواية مدن الملح أ.د. صالح ولعة ،عالم الكتب الحديث، اربد، الاردن، ط(١)، ٢٠١٠.
- المكان والزمان في النص الادبي الجماليات والرؤيا أ.د. وليد شاكر نعاس، تموز، دمشق، ط (١)، ٢٠١٤.

الرسائل والاطاريح :

- الرواية الاردنية، اعداد مهند علي سليمان الشوابكة، المشرف الدكتورة امتنان الصامدي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الاردنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٠م، ص:١٢٤-١٢٥.
- هاجس الزمن في شعر أمل دنقل، اعداد فيان محمد فاتح الطالباني، باشراف: أ.م.د. عبد الرحمن محمد محمود، رسالة ماجستير في اللغة العربية آدابها ، كلية التربية للعلوم الانسانية في جامعة كركوك.

الدوريات:

- أ.م.د. نبهان حسون (المكان في قصص حكمت صالح) دراسات موصلية ، العدد (٤٣) ربيع الاول ١٤٣٥ /كانون الثاني ٢٠١٤م.ص١٢٢-١٢٣.
- الاقلام ، فصلية فكرية ثقافية عامة ،ع١، كانون الثاني-نيسان ٢٠١٤م .

Temporal And Spatial Space In The Novel Saturn's Women

Dr. **Researcher**

Salwa Salman Al- Najjar **Asmaa Bakr Khudr**

The Axis Of language And Literature

Abstract

The research aims to identify the two factors of time and place in the novel by lutfia al-Dulaimi The woman of Saturn by identifying the technique used and its function shedding light on the factor of time in the novel , especially since the prominent technology in this factor is retrieval.

As for the place factor , the spatial diversity was manifested in order to embody the existing contradiction in the human reality ,We have reached a number of results , the most prominent which are :

- The author employed retrieval technique in order to depict many important stages of the history of Iraq.
- Sheds light on human suffering , especially Iraqi women under war.
- The diversity of the places in the novel into the two opposites couple such as harmony and non-harmony places .